Banyan لفظة هندية الاصل من « بانيا » Banya المصحفة عن السنسكريتية « فانى » Vanij ومعناها تاجر والبانيان طائفة من اليهود جل معيشتهم التجارة ولهم دين خاص بهم .
رزوق عيسى

مريم

(حادثة معربة من الفرنسوية عن الرسائل البانية تابع لما فى السنة ١ : ص ٢٨٨)

كل ذلك جدد المشهد الذى رأت فيه مريم وفاة امها بعد ان شهدت تململها على فراش المرض والموت . فحدث بها هذه الافكار الى الذهاب الى قبرها وهناك اطلقت العنان لاحزانها وما زالت تبكى وتنتحب وهى وحدها فى مقبرة الناصرة التى لا تبعد كثيراً عن المدينة .

لكن ياللعجب ! من هذا الرجل الذى يتقدم منها رويداً رويداً وهو يقود جواداً اصيلاً ؟ رجل يتلفت ذات اليمين وذات الشمال كانه خائف او منهزم من بلية ذات بال . رجل يناهز عمره خمسة وعشرين عاماً طويل النجاد ثيابه ثياب العزيزين وفى منطقته سكين منعطف الراس لامع الفرند تحيط بغمدها ثمان مرصعتان بالحجارة الكريمة وموشيتان بالذهب والفضة . رجل اسيل الخد هزيل البدن اسمر اللون ابى النفس حسن الطلعة الا ان ظواهره تنم عن هوى وجوى ؟ يالله ! من هذا الرجل ! وهاهو ذا قد دخل المقبرة .

لما سمعت مريم وقع الحوافر ورات الرجل صاحت صيحة كاد يغمى عليها . — وحاولت الفرار لكن اين المفر . اما هو فاطلق من يده عنان جواده وانقض على الابنة انقضاض العقاب على فريستها الحمامة وكفها واحتقبها على فرسه ثم اخذ ينهب الارض نهباً كانه البرق الخاطف . يقطع الجبال ويعبر الوهاد ويتغلب على العقبات ويركب الحزون والسهول ولا يبالى ببلية مهما عظمت او صعبت حتى جاز مسافة قدرها خمس عشرة ساعة لمن يسير على اقدامه سيراً حثيثاً . فنزل على ساحل بحر الجليل فى وسط اخربة ينعب بها اليوم هى اخربة كفرناحوم . تلك المدينة التى لم تنب اليه تعالى ولم يرد سكانها ان يؤمنوا بمعجزات المسيح وهى التى تحاسب فى يوم الدين محاسبة دونها حساب سدوم .

* * *

ولى النهار وانقشعت السحب وصحت السماء وظهر وجه البدر المنير الصبيح

الحسن وهو يتراءى فى مرآة البحيرة ولسان الحال يقول بافصح مقال :

اما ترى الليل قد ولت عساكره مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الافق الغربى تحسبه قد مد جسراً على الشطين من ذهب

اما مريم فكانت فى حالة الجمود يبكى لها القلب وان قد من جلمود . وبعد ان افاقت من غشيانها ورات نفسها منقطعة عن جدتها وابيها وكنيستها واترابها واقاربها كادت تجن مع جنون الليل . فقالت بعين عبرى وكبد حرى . وقد بلغ بها القنوط كل مبلغ :

من انت ياهذا ؟ وماتريد ولماذا ابعدتنى عن قبر امى وحشاشة فؤادى فقال لها الغريب بصوت خافت : « لاتبكى ياعزيزتى ، كفكفى دموعك يانورعينى . لاتخافى منى . انى انا ليث الوغى اذب عنك كل من يحاول اذيتك بادنى شئ . انى انا الذى تخر بين يدى الابطال الصناديد اذا ماراولنى فى حومة الوغى . اطمئنى بالاً ياسيدتى ومالكة قلبى . انى ادافع عنك بل وادفع عنك الاسود ولو كانوا مئات والوفاً . انى استرك برمحى وجنتى اللذين اتقى بهما العدو الازرق واصرعه بهما . وانك اترين مجندلاً صريعا يختبط بدمه كل من يجسر على ان يمس شعرة من شعر راسك ؟ وهل فى الكون من يتجرأ على ان يسيئك اويسرك اويهينك اهانة مهما كانت زهيدة ؟ ومن ذا الذى يفكر بان يمديده اليك ؟ ان رمحى يكرع الدماء واعدائى تتمرغ بالتراب وتبقى معفرة فيه الى مايشاء الله . انك حصن حصين لاترامين لانى اناوانا لاغيرى انا مظهر ابن الشيخ الجليل ربيعة من قبيلة عباد انا السيد المقدام والاسد الضرغام انا بجانبك لادفع عنك كل غائلة وابلغك كل طائلة . انى مغرم بك غراما عذريا لايشوبه ادنى دنس . انك مولاة قلبى . من انت . واعرفك منذ مدة مديدة . واسمك احلى من الشهد والعسل . اسمك ارق الاسماء واعذب من ماء السماء . وافعل فى القلب من البدر فى الليلة الظلماء . اسمك مريم . ولقلبى المجروح مرهم . وبين الناس مكرم ..

(لها تلو)